الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية والحضارة الإسلامية
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر

الملتقى الوطني الموسوم بـ:

مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية والإنسانية

تجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية لكشف أخطاء أهل الحداثة في التفسير

إعداد: الدكتور عبد الجبار بالقط.
أستاذ متعاقد بكلية العلوم الإسلامية بجامعة الوادي.

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م

ملخص البحث:

هذا البحث جاء ليعالج جانبا من موضوع التجديد في مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية، وما يثمر من نتائج، وقد عنونته بـ " تجديد مناهج البحث العلمي

في العلوم الإسلامية لكشف أخطاء أهل الحداثة في التفسير "، لذا -ومن خلال العنوان- فإنّ الإشكال الذي يطرح والسؤال المتبادر هو: هل لتجدّد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية أثر في علاج محدثات التفسير؟

وللإجابة على هذا التساؤل سلكت خطة مكونة من مقدمة ومبحثين، جعلت المقدّمة للتعريف بالموضوع وما يتبعه من أهداف وإشكال وغيرهما من عناصر المقدّمة، وضمّنت المبحث الأول التعريف بالكلمات المفتاحية للموضوع، والمبحث الثاني: جعلته لبيان أثر التجديد في طرق ومناهج البحث العلمي على تنوع المعنى التفسيري، لأذيل هذا البحث بخاتمة تضمّ أهم النتائج والتوصيات، ولعل أهم نتيجة توصلت إليها هي أنّ التجديد في المناهج البحثية المطبقة على التفسير لابد أن تكون منضبطة بما أثر عن السلف من تنوع في معاني الآيات، فلا يمكن أن تثمر معان تتعارض مع تفاسيرهم أو مخالفة للغة العرب.

الكلمات المفتاحية: مناهج، البحث العلمي، أهل الحداثة.

Abstract:

This research dealt with part of the topic of innovation in the curricula of scientific research in Islamic sciences, and the results that yield results. It was titled "Renewing the curricula of scientific research in Islamic sciences to detect the errors of the people of modernity in interpretation". So, through the title, the problem that arises is the following: Does the renewal of scientific research curricula in Islamic sciences have an impact on the treatment of interpretation updates?

In response to this question, a plan consisting of an introduction and a researcher, made the introduction to the definition of the topic and its subsequent objectives, formats and other elements of the introduction, and included the introduction of the keywords to the topic and the second: Made it to demonstrate the impact of innovation in scientific research methods and methods on the diversity of interpretative meaning And perhaps the most important conclusion is that the innovation in the research curricula applied to interpretation must be disciplined by the diversity of the meaning of the verses from the predecessors. s interpretation or contravention of the Arabic language.

Keywords: curricula, scientific research, modernists.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه والتّابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا أمّا بعد:

لقد درج علماء الإسلام منذ القدم على بيان تعاليم الشريعة للناس ودحض ما يعتري طريق نشرها من حوادث ومحدثات بالحجة والبرهان، سالكين في ذلك

طرقا تتوافق مع عصرهم، ومناهج تتماشى مع فكر من خاطبوه، وتصلح لمعالجة من مسّه مرض القلوب وانتكاس الفطرة بالحيد عن معين الوحي الصافي، بابتداع ما لم يأذن به الله، ومخالفة ما أراده من معاني آي القرآن بما يخدم أفكارهم ومعتقداتهم البعيدة عما عُهد عن السلف الكرام والأئمة الأعلام، ولعلّ ممن يستوجب على العلماء والباحثين في العلوم الإسلامية صدّهم والوقوف ضد أفكارهم، أهل الحداثة؛ الذين خالفوا المنهج القويم في فهم معاني الذكر الحكيم، فبات لزاما على المتصدّين للتفسير خاصة، وعلى الباحثين في العلوم الإسلامية عامّة أن يواجهوا هذا الفكر الجديد؛ ببيان هشاشة معتمدهم وفساد منهجهم، وفق طرق ومناهج بحث علمية قائمة على أصول رصينة؛ لينجلي لمن وقع في شِراكهم الحقائق العلمية والمعاني التفسيرية كما أرادها رب البريّة.

ولبيان هاته المواكبة في عرض المادة العلمية وفق مناهج تتماشى مع متطلبات العصر، أردت المشاركة بهذا البحث الموسوم بـ: تجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية لكشف أخطاء أهل الحداثة في التفسير. وهي ضمن المحور الثاني: المناهج والمجالات البحثية العلمية في العلوم الإسلامية والإنسانية.

إشكالية موضوع البحث:

من خلال ما قدمت يمكنني صياغة إشكالية البحث ونصّها:

هل لتجدّد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية أثر في علاج محدثات التفسير؟

تتفرع عن هاته الإشكاليّة تساؤلات عدّة ألخصها في النقطتين الآتيتين:

* ما المقصود بتجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية؟

* هل لتجدّد طرق ومناهج البحث العلمي أثر في تنوع المعاني التفسيرية؟

أهمية موضوع البحث:

تتجلى أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

* تعلّقه بتفسير كتاب الله Y.

* تعلقه بوسيلة من وسائل الدفاع عن الأحكام الدينية بشكل عام وعن المعاني القرآنية بشكل خاص.

* أهمية الطرق والمناهج البحثية في عرض المادة التفسيرية.

أهداف الموضوع:

تتمثل أهداف الموضوع في النقاط الآتية:

* بيان ارتباط تجدّد المناهج البحثية في العلوم الإسلامية بتجدد الداعي لها.

* بيان أنّ تنوع طرق ومناهج البحث له تأثير في بيان المعاني التفسيرية المتنوعة.

*لفت الأنظار إلى أن تجدّد مناهج البحث في العلوم الإسلامية مقيّد بنوع المادة العلمية المبحوثة.

الدّراسات السّابقة:

أمّا الدراسات السابقة -حسب بحثي المتواضع- فقد عثرت على مجموعة من الكتب والدراسات التي اهتمت بالمناهج البحثية في العلوم الإسلامية والإنسانية وغيرهما، والتي عُنيت منها بالتجديد لم تعالج نفس الموضوع الذي طرحته؛ لذلك فقد يكون هذا البحث بذرة أولى في هذا المجال.

خطة البحث:

لمعالجة هذا البحث رأيت تقسيمه إلى مبحثين، تتقدّمهما مقدّمة للتعريف بالموضوع.

فالمبحث الأول: جعلته للتعريف بالكلمات المفتاحية للموضوع، وقسّمته إلى مطلبين، أما المطلب الأول: تعرضت فيه للتعريف بمختلف المناهج البحثية المستعملة في العلوم الإسلامية، والمطلب الثاني: خصصته للتعريف بأهل الحداثة.

والمبحث الثاني: خصّصته لبيان أثر التجديد في طرق ومناهج البحث العلمي على تنوع المعنى التفسيري، وقسمته إلى مطلبين، أما المطلب الأول: فجعلته لبيان أثر تجديد المناهج البحثية في تجدّد المعاني التفسيرية بما تتطلّبُه النوازل العصرية، والمطلب الثاني: خصصته لبيان أن في تجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية نوع وسيلة لردّ أخطاء الحداثيين في التفسير. لأذيل هذا البحث بخاتمة تضمّ أهم النتائج المتوصل إليها مع بعض التوصيات والمقترحات.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.

المبحث الأول: التعريف بالكلمات المفتاحية للبحث.

من الأمور التي ينبغي على الباحث أن يلج منها إلى موضوع بحثه، هي التعريف بالكلمات البارزة والمكونة لعنوانه، فبمعرفتها يسهل على المطلع على المادة العلمية المبحوثة فهمها وإدراك ما فيها من معلومات وفوائد؛ لذلك صدرت صلب الموضوع بهذا المبحث وقسمته إلى مطلبين.

المطلب الأول: التعريف بمختلف المناهج البحثية المستعملة في العلوم الإسلامية.

من المعلوم لدى العام والخاص أن البحث والكتابة في العلوم الإنسانية بشكل عام، وفي العلوم الإسلامية بشكل خاص، يرتكز على طرق ومناهج بحث محدّدة، يستعملها الباحث حسب ما يقتضيه موضوع بحثه، وما تستوجبه كل جزئية من جزئياته.

إذن فما هو معنى المنهج، وما هي تلك المناهج المتبعة في بحوث العلوم الإسلامية؟.

الفرع الأول: تعريف منهج البحث العلمي.

لتعريف هذا المركّب الإضافي لابد من تعريف كل لفظة منه على حدة، ثم صياغة تعريف كامل له انطلاقا مما دلت عليه مفردات تركيبه.

المنهج لغة: من النَّهْج وهو الطريق، تقول نهجتُ منهجا أي سلكت طريقا، ونهجتُ الطريق أبنتُه وأوضحتُه، والمنهاج الطريق الواضح البيّن، ويجمع على المناهج، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: 48][1].

قال في مقاييس اللغة: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النّهْج، الطريق. ونَهَجَ لي الأمر: أوضحَهُ. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج. والآخر الانقطاع. وأتانا فلان ينهَجُ، إذا أتى مبهورا منقطع النفس..."[2]

إذن فالنهج يدل على ثلاثة معاني:

المعنى الأول: الطريق.

المعنى الثاني: الوضوح والإبانة.

المعنى الثالث: الانقطاع.

والذي يهمنا هنا هو المعنى الأول والثاني. فيكون المنهج بمعنى الطريق الواضح البيّن.

المنهج اصطلاحا: عرف بعضهم المنهج فقال:

التعريف الأول: " وأما المنهاج: فإنّ أصله الطريق البيّن الواضح...، ثم يستعمل في كل شيء كان بيّنًا واضحًا يعمل به"[3].

التعريف الثاني: "المنهج عبارة عن الطريقة الواضحة البيّنة التي يسلكها المرء في سعيه نحو تحقيق غاية من الغايات..."[4].

فبمجموع التعريفين يمكنني أن أسوغ تعريفا جامعا فأقول:

---

1 - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (383/2)، دار صادر - بيروت، ط 3: 1414 هـ. وتاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تحقيق جماعة من المختصين، (251/6)، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 هـ/1965م)، (1422 هـ/ 2001م).

2 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (361/5)، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ / 1979م.

3 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، (493/8)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1: 1422 هـ / 2001 م.

4 - مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، قطب مصطفى سانو، ص 51-52، مجلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية – قطر، العدد 160، ربيع الأول 1435 هـ، السنة 34.

المنهج: هو الطريق البيّن الواضح الموصل إلى تحقيق الهدف والغاية المرجُوّة من سالكه.

البحث لغة: من بحث يبحث أي يطلب علم الشيء.

قال في مقاييس اللغة: " الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدل على إثارة الشيء. قال الخليل: البحث طلبك شيئا في التراب. والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر"[1].

وقال في اللسان: " والبحث: أن تسأل عن شيء، وتستخبر. وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا: سأل، وكذلك استبحثه، واستبحث عنه. الأزهري: استبحثت وابتحثت وتبحّثتُ عن الشيء، بمعنى واحد أي فتّشتُ عنه"[2].

من خلال ما قدّمت تبين أن معنى البحث يدور حول معنيين هما:

1- السؤال.
2- الاستخبار أو التفتيش.

ولا يتأتى الاستخبار والتفتيش إلا عن طرق السؤال، فهما معنيان متلازمان.

البحث اصطلاحا:

عرفه الشريف الجرجاني فقال: " هو إثبات النسبة الإيجابية، أو السلبية، بين الشيئين، بطريق الاستدلال"[3].

وعرفه التهانوي فقال: " البحث في اصطلاح أهل النظر يطلق على حمل شيء على شيء، وعلى إثبات النسبة الخبرية بالدليل، وعلى إثبات المحمول للموضوع، وعلى إثبات العرض الذاتي لموضوع العلم، وعلى المناظرة، وهي النظر إظهارا للثواب"[4].

وقال محمد بازمول: " البحث في اصطلاح التدوين: هو طلب الحقيقة في موضوع ما"[5].

ولعلّ في تعريف بازمول حوصلة ما جاء في التعريفين الأول والثاني؛ ذلك لأن القصد من البحث في موضوع أو مسألة ما، هو طلب حقيقة الأمر في ذلك الموضوع أو المسألة المبحوثة، باستعمال الأدلة المتاحة؛ لهذا يحسن أن يضاف إلى تعريف بازمول لفظ "باستعمال الأدلة".

---

1 - مقاييس اللغة، ابن فارس، (205/1-204).

2 - لسان العرب، ابن منظور، (115/2).

3 - كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص 42، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1: 1403 هـ/1983 م.

4 - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، (309/1)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط 1: 1996 م.

5 - منهج البحث العلمي وكتابته في علوم الشريعة، محمد بن عمر ين سالم بازمول، ص 4، دون طبع ولا سنة نشر، (مخطوط).

وعليه فإنّ **البحث في الاصطلاح**: هو طلب الحقيقة في موضوع أو مسألة ما باستعمال الأدلة.

العلم لغة: نقيض الجهل، وهو المعرفة والإدراك.

قال ابن فارس: "(عَلِمَ) العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره... والعلم نقيض الجهل"[1].

وقال في تهذيب اللغة: " علمتُ الشّيْء بمعنى عرفتُه وخبرتُه"[2].

وقال في معجم اللغة: " علم الشخص الخبر: عرفه وأدركه"[3].

العلم اصطلاحا:

العلم هو إدراك الشيء على ما هو به[4].

وقيل هو: " إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما "[5].

تعريف منهج البحث العلمي:

عرّفه عبد الرحمن بدوي فقال بأنه: " الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامّة تهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[6].

وعرّفه محمد بن عمر بازمول فقال: " طريقة جمع المعلومات وترتيبها وتنظيمها للوصول إلى الحقيقة في موضوع ما، بمراعاة الأصول الكلّية والمسائل المندرجة تحته "[7].

إن المتأمّل في التعريفين الذين سقتهما يعرف بأنّ التعريفين متماثلان، وليس بينهما فرق من الناحية الجوهرية، فكلاهما جمع بين عناصر المركب الإضافي في التعريف، لهذا يمكنني أن أسوق تعريفا يقرب بينهما لفظا فأقول:

---

1 - مقاييس اللغة، ابن فارس، (4/110-109).

2 - تهذيب اللغة، محمد أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، (2/254)، دار إحياء التراث العربي - بيروت
ط 1: 2001 م.

3 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، (2/1541)، عالم الكتب، ط 1: 1429 هـ / 2008 م.

4 - الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، ص 66، دار الفكر المعاصر - بيروت
ط 1: 1411 هـ.

5 - الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، ص 15، دار ابن الجوزي، ط 4: 1430 هـ / 2009 م.

6 - مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص 5، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم-الكويت، ط 3: 1977 م.

7 - منهج البحث العلمي وكتابته في علوم الشريعة، محمد بن عمر ين سالم بازمول، ص 4.

منهج البحث العلمي: الطريق الذي ينتهجه الباحث للوصول إلى الحقيقة في موضوع ما، وفق قواعد وأصول كلية تضبطه.

المطلب الثاني: التعريف بأهل الحداثة.

للتعريف بأهل الحداثة أو الحداثيين، يحسن أن أبيّن معنى الحداثة في اللغة والاصطلاح.

الحداثة لغة: من حدث يحدث فهو حادث أي لم يكن له سلف من قبل.

جاء في مقاييس اللغة: " (حدث) الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن "[1].

وقال في اللّسان: " حدث: الحديث: نقيض القديم. والحُدوثُ: نقيض القُدْمة. حدث الشيء يحدث حُدوثا وحَداثة، وأحْدثهُ هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه "[2].

إذن فالحداثة تعني ابتداع أمر لم يكن له سبق ولا سلف فيما مضى.

الحداثة اصطلاحا:

عرف التونجي الحداثة فقال: " مصطلح الحداثة يدل على الجديد والميل إلى المعاصرة، وليس مذهبا معينا ولكنه اتجاه جديد مهمّته مصارعة القديم باسم الجديد، والتحرر من إسار القوالب والمضامين التي مضى عليها الزمان "[3].

وقال المسقري: " الحداثة مصطلح واسع يشير إلى التحديث المستمر، والتمرد الدّائم، وعدم الاستقرار على شيء، والثورة المستمرة على كل شيء على اللغة والدين والمجتمع ونظام الحكم"[4].

وقال أركون: " الحداثة هي الزعزعة الفكرية المتواصلة، هي مشروع لا يكتمل مطلقا لتوسيع واستكمال المزيد من البحث عن معرفة العقل "[5].

فمصطلح الحداثة يدلّ على التجدّد وعدم القرار على أمر معين، بل يدعوا إلى قطع الصلة مع كلّ ما أثر عن السّلف من العلوم والتفسير.

وعليه يمكنني القول بأنّ أهل الحداثة هم نابتة جديدة، تدعوا إلى بتر الرّابطة العلميّة والتاريخية بين السّلف والخلف في شتى الميادين، حتى لا يكون لهم عائق

---

1 - مقاييس اللغة، ابن فارس، (36/2).

2 - لسان العرب، ابن منظور، (131/2).

3 - المعجم المفصل في الآداب، محمد التونجي، (349/1)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 2: 1419هـ/1999م.

4 - الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، يحي مصلح علي المسقري، ص 17، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة قطر، 1438هـ/2017م، (رسالة ماجستير مخطوطة).

5 - من منتاهن إلى بغداد ما وراء الخير والشر، محمد أركون وجوزيف مايلا، ترجمة عقيل الشيخ حسين، ص 177، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1: 2007 م.

في فهم النصوص القرآنية والحديثية، فيؤولونها كما شاءوا ومتى شاءوا من غير قيد ولا ضابط يؤطر ذلك.

المبحث الثاني: بيان أثر التجديد في طرق ومناهج البحث العلمي على تنوع المعنى التفسيري.

لا شك أن معاني القرآن تتجدّد وتتنوع وتتعدّد، لكن وفق قواعد وضوابط سطرها أهل العلم من لدن السلف وتوارثها عنهم الخلَف، ولبيان هذا التنوع التفسيري لمعاني القرآن الكريم، المنضبط بالقواعد والأسس التي سار عليها أهل التفسير في تفاسيرهم، وعلى وَفق ما سلكوه من مناهج بحثية علمية في ذلك، أوردت في هذا المبحث مطلبان يوضّحان أثر تجديد المناهج البحثيّة على تنوع المعاني التفسيريّة، وكذا أثره في بيان أخطاء من حاد عن منهج السلف في ذلك.

المطلب الأول: أثر تجديد المناهج البحثية في تجدّد المعاني التفسيرية بما تتطلّبُه النوازل العصرية.

أنزل الله القرآن ليكون منهاج حياة، يسير عليه المسلم في جميع شؤونه، أودع فيه ما يُصلح به أحواله الدّينية والدّنيوية، وجعله صالحا لكل زمان ومكان، فيه حلّ ما يتجدّد من نوازل العصر، وأحكام ما يقع من أحداث ومحدثات، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

ولكي تتحقق هاته الغاية النبيلة، واستغلالها في معالجة ما ينزل بالمسلمين من نوازل، وتصحيح ما فسد من أخلاق أفراد المجتمع ومعاملاتهم، سلك بعض أهل التّفسير في العصر الحديد مناهج جديدة في تفاسيرهم، فاستنبطوا منها معان تعالج ما تجدّد من ظواهر، وتقوّم ما ظهر من اعوجاج في العقائد، وتُصلح ما فسد من الأخلاق، وقد تمثل ذلك فيما يسمّى بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وما انتُهج فيه من طرق لعرض وتحليل النصوص القرآنية وفق ما يحتاجه المجتمع، وما تدعو إليه الحاجة من استنباط معانٍ جديدةٍ، تتوافق وما أثر عن السلف الكرام من تفسيرهم للقرآن.

لذلك فإنّ تطوير مناهج البحث في العلوم الإسلامية بين الفينة والأخرى بات ضرورة ملحة، وأمر أكيد تستوجبه التغيّرات الطارئة على المجتمعات الإسلامية فكريّا وعقديّا وأخلاقيّا، لمواجهة ما استجد فيها من محدثات، وإصلاح ما طرأ عليها من فساد، ولا يتم ذلك إلا بتغيير نمط وطريقة عرض المادة التفسيرية بما ينتج من معانٍ جديدة تتحملها الألفاظ القرآنية، وغير خارجة عن حدود ما فسر السلف -رضوان الله عليهم-[1].

1 - ينظر مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، قطب مصطفى سانو، ص 99-104.

ولعل من بين الذين برزوا في العصر الحديث باستعمالهم منهج تنزيل الآيات وإسقاطها على الواقع هو الشيخ محمد رشيد رضا -عليه رحمة الله- في تفسيره المنار، فقد اشتهر بكثرة تطبيقاته العملية لما تدل عليه الآيات القرآنية؛ لذلك جاء تفسيره مليئا بالتنزيلات الاجتماعية الواضحة، التي تعالج المظاهر السيئة التي سادت في زمنه، كانتشار الرّبا وشرب الخمر واللواط وغيرها من الآفات.[1]

قال فهد الرّومي عن المدرسة العقلية التي ينتمي إليها محمد رشيد رضا وما تبنته من منهج التنزيل: " حاول رجال هذه المدرسة العقلية تطبيق هذا المنهج فحذروا من كثير من البدع والمنكرات السائدة، وعالجوا بعض القضايا الاجتماعية بروح المفسر العصري بحسناته وسيئاته، ولوضوح هذا المنهج في تفاسيرهم التصق بهم فأُطلق عليهم ضمن ما عرفوا به اسم المدرسة الاجتماعية"[2].

وقد كان -رحمه الله- يستفتح تنزيل الآيات غالبا - بعد تفسيره لها- بقوله: "والعبرة ..."[3]، ويقصد بذلك الهدايات التي يمكن أن تستقى منها، وتسقط على الواقع المعاصر حتى يعتبر الناس بها ويتعظوا[4]، بل يعتبر ذلك من قبيل التفسير للآية، غير خارج عمّا دلّت عليه من معان، قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [الأنفال: 49]، بعد ذكره أمثلة عن عناية الله بالمتوكلين: " إنني أراني غير خارج بهذه الأمثال عن منهج هذا التفسير المراد به التفقّه والاعتبار[5]، وأنا أرى الناس يزداد إعراضهم عن الدين والاهتداء بالقرآن، وتقل فيهم القدوة الصالحة "[6].

فانظر كيف يرى -عليه رحمة الله-، معاني الآيات المنزلة على الواقع، بأنها معانٍ جديدةٍ تتضمّنها الآيات القرآنية وتحتملها، وذلك عن طريق استخدام منهج التنزيل.

---

1 - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ص 147، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط 1: 1428 هـ/2007م.

2 - منهج المدرسة العقلية الحديث في التفسير، فهد الرومي، (1/385-384)، إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط 2: 1403 هـ/ 1983 م.

3 - ينظر مثلا: المواضع: (1/267)، و(4/229)، و(11/285).

4 - تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ص 144.

5 - الاعتبار هنا ليس بمعنى استنباط معان جديدة صرفة، وإنما هي من قبيل التطبيق العملي لما دلت عليه الآية، فكان هذا التنزيل بمثابة ذكر معان جديدة.

6 - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (10/30)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون طبع، سنة النشر: 1990 م.

المطلب الثاني: أثر تجديد مناهج البحث العلمي في العلوم الإسلامية في ردّ أخطاء الحداثيين في التفسير.

الحداثيون - كما سبق تعريفهم - هم نابتة ظهرت في العصر الحديث، تعمل على بتر العلاقة بين السلف والخلف، وتدعوا إلى تجديد فهم النص القرآني بالعقل المجرد، غير مؤطر بالقواعد والضوابط التي درج عليها أهل التفسير، ليستنبط القارئ له معان متجدّدة، ليس لها صلة بما ورد عن السّلف، بل تكون خارجة عليه ومعارضة له.

لهذا تصدّي أهل العلم والباحثون لهاته الطريقة الحديثة في التفسير، وبيّنوا أخطاء أصحابها وأسسهم التي بنوا عليها منهجهم المحدث.

وسأضرب مثالا تطبيقيا لأحد الباحثين في ردّه أحد أخطاء شحرور في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ [النور: 31]. حيث فسر الجيب بالمعنى المولد، وذهب يطبّقه على جسد المرأة فاستخرج منه عدّة جيوب -حسب زعمه- ومن ثَمّ استنبط ما يشرع لها من تغطية لبدنها وما تبديه منه[1].

قال يوسف الصيداوي: " ونستأنف هنا حديث (الجيب والجيوب) فنذكر أن العرب في جاهليتهم، وإلى ما بعد أكثر من سبعمئة سنة، ظلوا لا يعرفون للجيب إلاّ معنى طوق القميص ونحوه. غير أنّ معاني الألفاظ تتطوّر، ومن هنا ذكر ابن تيمية (توفي في القرن الثامن الهجري) أنّ العامة في زمانه استعملت (الجيب) بمعنى آخر[2]. وإليك ما قاله الشيخ أحمد رضا حول ذلك. قال: (الجيب عند العامة، ما يُشقّ في جانب الثوب، له كيس صغير متصل بالشّقّ، توضع فيه الأشياء الخفيفة الحمل. وهو الجيبة أيضا. وكلّ هذا من الشقّ والقطع. وهو مولّد في هذا المعنى؛ قاله ابن تيمية)[3]. ويقول بطرس البستاني: (الجيب عند العامة كيس يخاط في جانب الثوب من الداخل، ويُجعل فمه من الخارج ويقال له الجيبة أيضا)[4].

قلت - أي الصيداوي-: إن هذا المعنى المولّد، الذي استحدثته العامّة، هو الذي لا يزال دائرا على ألسنة الناس اليوم في الحواضر والمدن، فمن أقوالهم في الحث على الإنفاق، والأمل في كرم النساء (اصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب). وأما في البوادي فما يزال الناس يحتفظون للجيب والجيوب بمعناهما واستعمالهما

---

1 - ينظر الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص 606-607، الأهالي، دمشق - سورية، دون طبع ولا سنة نشر.

2 - ينظر مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (262/17)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، سنة النشر: 1425 هـ / 2004 م.

3 - معجم متن اللغة، أحمد رضا، (595/1)، دار مكتبة الحياة - بيروت، سنة النشر: 1377- 1380 هـ/ 1958 -1960 م.

4 - محيط المحيط، المعلّم بطرس البستاني، ص 140، مكتبة لبنان – بيروت، ط: 1987 م.

الفصيحين، وإليك من ذلك هذه الجوهرة التي ساقها الله لم نكدّ فيها ولم نسع إليها: يوم الثلاثين من تشرين الأول 1992م، نزلتُ -كما كنت أفعل من قبل- ضيفًا على آل الخرّاز، حيث ضربوا خيامهم من أرض الجزيرة، وأجنّنا الليل فتحلّق القوم في السرادق يسمرون، وانطلق فروان السوادي يعلّلهم بقصة (عذرا وجلال)، ويطيّب النثر منها بشيء من الشعر، ...- وكان من ضمن ما ذكر – لفظ شق الجيوب. وما إن أتمّ -يقول الصيداوي- فروان قصته حتى انبريتُ أسأل، متى تستعملون تعبير (شق الجيوب)؟ وهل تُشقُّ الجيوب عندكم حقّا؟ قالوا: نعم، ذلك إذا فقدنا عزيزا، فإن المرأة –حين تنبأ بذلك- تعلو قدرا مكفوءة على فمها فتندب وتنوح، حتى إذا استبدّ بها الجزع شقت جيبها (أي طوق ثوبها الذي ينفتح على نحرها)،... قلت لفروان: فأشر بإصبعك إلى جيبك، فأشار بإصبعه إلى طوق قميصه المنفتح على نحره، وسألتهم: وهذا الكيس المخيط في جانب الثوب عن يمينه ويساره ما تسمّونه؟ قالوا نسميه (المَخْبأَه)، ... يطلقونه على ما تسميه العامة عندنا (الجيبة). فجيب القميص إذا ظلّ – في الأقلّ- منذ أيام طرفة بن العبد في الجاهلية (86 – 60 قبل الهجرة) حتى أيام فروان السوادي في البادية السورية 30/ 10/ 1992م، هو الطوق المنفتح على النحر، لم يتغير ولم يتبدّل، فيا عجبا كيف اتقلب هذا الطوق عند المؤلف -يعني شحرور- إبطين وفرجا وأليتين؟!

من له أذنان سامعتان فليسمع، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، ... إلى أن قال: أرأيت إلى الشاطرين كيف يستطيعون أ يتسربوا، ثم يتسللوا فلا يراهم أحد وهم يدخلون، ولا يراهم أحد وهم يخرجون؟

وهكذا اغتالت القراءة المعاصرة غفلة من ليست اللغة اختصاصه...، اغتالت غفلة الطبيب والتاجر، والمحامي والعامل، والمهندس والصانع، والطالب والمزارع، اغتالت غفلتهم جميعا..."[1].

فانظر كيف ردّ الصيداوي هذا الفرية الشنيعة على معاني القرآن الكريم وعلى التفسير، بردّ معنى الجيب في لغة العرب أولا وما درجوا عليه أهل البادية في استعمالهم للمعنى الصحيح دون المولد الذي ظهر في المدن والحواضر، وذلك عن طريق منهج التنزيل على الواقع الذي عاشه مع وسرده تلك القصة، مع ما أشار إليه من الانتباه من الغفلة التي طالت كثيرا من طوائف المجتمع المسلم المثقف منهم والعامي خوفا عليهم من انطلاء مثل هاته التفاسير الباطلة لكلام الله تعالى عليهم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أوّلا **النتائج**:

1 - بيضة الديك، يوسف الصيداوي، ص 82-87، المطبعة التعاونية، دون طبع ولا سنة نشر.

1- التجديد في مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية بشكل عام وفي العلوم الإسلامية بشكل خاص يعتمد على نوع الظواهر التي سيعالجها هذا البحث.
2- من المناهج الحديثة التي استعملها الباحثون هو منهج التنزيل على الواقع، حيث يستنطقوا الآيات القرآنية في جلب المعاني التفسيرية، التي من شانها تكون علاجا لما استحدث من آفات اجتماعية ونوازل عصرية.
3- التجديد في المناهج البحثية المطبقة على التفسير لابد أن تكون منضبطة بما أثر عن السلف من تنوع في معاني الآيات، فلا يمكن أن تثمر معان تتعارض مع تفاسيرهم أو مخالفة للغة العرب.
4- فساد منهج الحداثيين في التفسير حيث التزموا طرقا، وارتكزوا على أسس تتنافى وتتعارض مع ما عهد عن السلف في بيانهم معاني القرآن الكريم وما درج عليه أئمة التفسير إلى العصر الحديث.

ثانيا **التوصيات**:

1- عقد ندوات ومحاضرات علمية لبيان ضوابط المناهج البحثية الجديدة التي يمكن استغلالها في خدمة القرآن بشكل خاص وعلوم الشريعة بشكل عام.
2- العمل على التطبيق الفعلي لهاته المناهج الجديدة في البحوث الفصلية والنهائية لطلاب الماستر والدكتوراه للوقوف بدقة على ثمراتها ومخرجاتها.

هذا واللهَ أسألُ أن أكون قد وُفّقت لما سوّدتُ من صفحات، وما دوّنتُ من كلمات، فما كان من صواب فمنه وحده سبحانه وتعالى وأشكره على ذلك، وما من خطأ أوتقصير فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله من الخذلان، وصلى الله وسلم على النبي العدنان ρ.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**
- الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط 4: 1430هـ / 2009 م.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا الأنصاري، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط 1: 1411 هـ.
- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، الأهالي، دمشق - سورية، دون طبع ولا سنة نشر.

- المعجم المفصل في الآداب، محمد التونجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 2: 1419هـ/1999م.
- الوحي القرآني في منظور القراءة الحداثية، يحي مصلح علي المسقري، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية-جامعة قطر، 1438هـ/2017م، (رسالة ماجستير مخطوطة).
- بيضة الديك، يوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية، دون طبع ولا سنة نشر.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، تحقيق جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (1385 هـ/1965م)، (1422 هـ/ 2001م).
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون طبع، سنة النشر: 1990م.
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط 1: 1428 هـ/2007م.
- تهذيب اللغة، محمد أبو منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط 1: 2001 م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر - د عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1: 1422 هـ / 2001 م.
- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1: 1403 هـ/1983 م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط 3: 1414 هـ.
- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية، سنة النشر: 1425 هـ / 2004 م.
- محيط المحيط، المعلّم بطرس البستاني، مكتبة لبنان - بيروت، ط: 1987 م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط 1: 1429 هـ / 2008 م.
- معجم متن اللغة، المؤلف: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، سنة النشر: 1377- 1380 هـ/ 1958 -1960 م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ / 1979م.

- من منتاهن إلى بغداد ما وراء الخير والشر، محمد أركون وجوزيف مايلا، ترجمة عقيل الشيخ حسين، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط1: 2007 م.
- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم- الكويت، ط 3: 1977 م.
- مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، قطب مصطفى سانو، مجلة كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية - قطر، العدد 160، ربيع الأول 1435 هـ، السنة 34.
- منهج البحث العلمي وكتابته في علوم الشريعة، محمد بن عمر ين سالم بازمول، دون طبع ولا سنة نشر، (مخطوط).
- منهج المدرسة العقلية الحديث في التفسير، فهد الرومي، إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط 2: 1403 هـ/ 1983 م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي التهانوي، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط 1: 1996 م.